المبحث العشرون

التفسير العقلى (بالرأي)

لاشك أن العقل من أهم مميزات الإنسان على غيره من المخلوقات ، وقد دعا القرآن الكريم إلى التدبر وإعمال العقل كثيراً ، وأفضل ما تعمل العقول في تدبر ه كتاب الله تعالى ، الذي قال في الحكمة من إنزاله : ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** (٤٤) ﴾ [النحل : ٤٤] .

لهذا توجهت عقول أهل الحرص على فهم كتاب الله تعالى نحوه ، حتى شكلت اتجاهاً من اتجاهات التفسير عُرِفَ بالتفسير العقلي ،أو التفسير بالرأي ، وسوف نتناوله فى النقاط التالية :

الأولى : معنى التفسير بالرأي :

هو عبارة عن النتاج الفكرى الذي ينتج عن الاجتهاد في تفسير كتاب الله عزوجل . فإن كان مضبوطاً بأصول التفسير وقواعده فهو الرأي المحمود ، وإلا فهو المذموم .

الثانية : موقف العلماء من التفسير بالرأي :[١]

لقد انقسم العلماء في موقفهم من التفسير بالرأي إلى فريقين ، فريق تَشَدَّد فمنع تماماً تفسير القرآن بالرأي مهما كان علم المفسر ومعرفته بأصول التفسير ، وفريق على عكس ذلك ،يرون أن من كان ذا أدب وعلم يجوز له أن يفسر كتاب الله تعالى برأيه واجتهاده ،ولكل فريق أدلة .

أدلة المانعين : قالوا :

[١] إن التفسير بالرأي قول على الله بغير علم ، والقول على الله بغير علم

---

(١) انظر التفسير والمفسرون ١ /٢٤٦ – ٢٥٣ ، وانظر القرطبي في مقدمة تفسيره .

منهي عنه فيكون التفسير بالرأي منهي عنه لقوله تعالى ﴿ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وهو معطوف على محرمات قبله ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ ﴾ [الأعراف : ٣٣] .

[٢] كما استدل المانعون بقوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤) ﴾ [النحل : ٤٤] فقد أضاف البيان إليه ﷺ فعلم أنه له وليس لغيره بيان شيء من معاني القرآن .

[٣] واستدلوا أيضاً بما ورد في السُّنَّة من تحريم القول في القرآن بالرأي مثل : ما رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « **اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم ، فمن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار** » (١) (وما رواه الترمذي ـ أيضاً ـ وأبو داود عن جندب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ** » (٢) .

[٤] كما استند المانعون إلى الآثار الواردة عن السلف من الصحابة والتابعين تُفيد مدى تحَرُّجهم من القول في القرآن بآرائهم ، كالذي ورد من أبي بكر رضي الله عنه : (لأن تضرب عُنقي ولا أقول في القرآن برأيي) وما ورد عن سعيد بن المسيب أنه كان إذا سئل عن الحلال والحرام أجاب ، وإذا سئل عن تفسير آية من القرآن سكت ، . . وغير ذلك من الآثار التي تفيد تحرجهم من التفسير بالرأي .

أدلة القائلين بالجواز :

[١] استدلوا بالآيات الكثيرة الداعية إلى التدبر والتفكر وإعمال العقل في فهم القرآن من ذلك قوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ [ص : ٢٩] . . . ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤) ﴾ [محمد ٢٤] ،

---

(١) رواه الترمذي ، وقال حديث حسن ، وضعفه الألباني في ضعيف سُنن الترمذي برقم ٢٩٥١ .

(٢) رواه الترمذي ، وصححه الألباني في صحيح سُنن الترمذي برقم ٢٩٥٢ .

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء:٨٣] (. . .ووجه الدلالة في الآيات أن الله تعالى حث على تدبر القرآن والاعتبار بآياته، وبين أن في القرآن ما يستنبطه أولوا الألباب باجتهادهم ، ويصلون إليه بإعمال عقولهم ، فكيف يُمْنَع ويُحْظَرُ الطريق المُوصِّل إلى شيء تعبدنا الله عز وجل به .

[٢] قالوا لو كان التفسير بالرأي غيرُ جائز لما كان الاجتهاد جائزاً ، ولتعطَّل كثير من الأحكام ، وهذا باطل واضح البطلان .

[٣] استدلوا بما ثبت من أن الصحابة قرأوا القرآن ، واختلفوا في تفسيره على وجوه ، ولو كان التفسير بالرأي محظوراً ، لكان هذا مخالفاً من الصحابة ومعاذ الله أن يكونوا قد خالفوا .

[٤] قالوا ـ أيضاً ـ إن النبي ﷺ قد دعا لابن عباس قائلاً : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) فلو كان التأويل مقصوراً على السماع والنقل فقط لما كان هناك فائدة لتخصيص ابن عباس بهذا الدعاء .

ولم يكتف القائلون بالجواز بإيراد أدلتهم ، بل قاموا بتفنيد أدلة المانعين وأجابوا عنها ، وخلاصة جوابهم عنها :

أن النبي ﷺ وإن أضيف إليه البيان في الآية إلا أنه لم يثبت عنه تفسير القرآن لفظاً لفظ اعتماداً على فهم الناس يومئذ وسلامة سليقتهم ، كما أن ما ورد من النهى محمول على من قال برأيه في المشكل من القرآن ونحوه مما لا يعلم إلا عن طريق النقل ، وهو محمول أيضاً على الرأي الذي يغلب على صاحبه من غير دليل يستند إليه ، أما الرأي الذي يشهد له الدليل و يشدُّه البرهان فجائز ، وما ورد عن السلف من آثار تفيد تَحَرُّجَهم فهي محمولة على ورع واحتياط منهم ، ويُحْمَل إحْجَامُهُم على أنه كان مقيداً بمالم يعرفوا وجه الصواب فيه ،أما إذا عرفوا وجه الصواب فيه فلم يكونوا يتحرجون من إبداء ما يظهر لهم ولو

بطريقة الظن ، فهذا أبو بكر رضي الله عنه يقول ـ وقد سئل عن الكلالة ـ : « أقول فيها برأيي فإن كان صوابا فمن الله ، وإن كان غير ذلك فمني ومن الشيطان : الكلالة كذا وكذا » ، وهناك أجوبة أخرى عن أدلة المانعين تدل على أن من أحجم من السلف عن التفسير بالرأي لم يكن عن اعتقاد منه بعدم الجواز .

الرأي الراجح : هو القول بجواز التفسير بالرأي ولكن بشروط وضوابط .

الثالثة : ضوابط التفسير العقلي : تتلخص فيما يلي :

[١] الالتزام بمدلول الألفاظ واستعمالها في اللغة العربية في ظل السياق .

[٢] عدم التكلف أو الشطط في الفهم .

[٣] الحذر من السير مع الهوى والاستحسان .

[٤] الحذر من جعل المذهب الفاسد أصلاً ، والتفسير تابع له ، فيحتال في التأويل لتأييد مذهبه وإن كان غاية في البعد والغرابة .

وما توفرت فيه تلك الضوابط فهو التفسير بالرأي الجائز ، وإلا فهو المذموم .

وسأسوق لك نماذج الأسماء ومناهج تفاسير في كلا النوعين من التفسير بالرأي .

نماذج لكتب التفسير بالرأي الجائز :

سوف أختار هنا في تلك النماذج كتباً من كتب التفسير بالرأي الجائز وسأحاول أن أجمع بين كتب التراث والمعاصرة ، وربما كانت الكتب التي سأختارها هنا لها اتجاهات مختلفة لغوية أو فلسفية كلامية أو غير ذلك ، لكن الذي يجمع بينها أنها جميعا من كتب التفسير بالرأي الجائز .

أولا : النماذج التي تمثل التراث في كتب التفسير بالرأي الجائز :

[١] مفاتيح الغيب : لمحمد بن عمر بن الحسين الملقب بفخر الدين الرازي ت ٦٠٦هـ .

■ ومنهجه فيه يتلخص في أنه كثير الاستطراد ، مولع بالاستنباط حتى أنه

قال في مقدمة تفسيره إن سورة الفاتحة وَحْدَها يمكن أن يستنبط منها عشرة آلاف مسألة . .ويُكْثِر من الاستطراد إلى العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية، وربما يَعْرِض أقوال بعض الفلاسفة ويقوم بردها، ويُكْثِر أيضاً من إيراد شُبَهِ المخالفين، وربما يقصر في تفنيدها، حتى قال ابن حجر عنه إنه يُعاب بإيراد الشبهة الشديدة ويقصر في حلها حتى قال بعض المغاربة: يورد الشبهة نقداً و يحلها نسيئة ، ثم إن الفخر الرازي لا يكاد يمر بآية من آيات الأحكام إلا ويذكر مذاهب الفقهاء فيها مع ترجيحه للمذهب الشافعي، كذلك يستطرد في المسائل الأصولية والكلامية والنحوية والبلاغية وإن كان لا يتوسع في هذا توسعه في علوم الكون كالفلك والنجوم وغيرها .

وبالجملة : فالكتاب أشبه ما يكون بموسوعة في علم الكلام ، وفي علوم الكون والطبيعة ، إذ أن هذه الناحية هي التي غلبت عليه حتى كادت تُقَلِّل من أهميته ككتاب تفسير للقرآن الكريم ، حتى قال بعض أهل العلم عنه : (فيه كل شيء إلا التفسير) [١] .

ولكن برغم هذا تبقى قيمة الكتاب عاليه يتعلم المُطالع منه كيف يربط بين كافة العلوم وبين القرآن الكريم .

[٢] أنوار التنزيل وأسرار التأويل : لعبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي من بلاد فارس توفي بمدينة تبريز سنة ٦٨٥هـ.

■ لقد اختصر البيضاوي تفسيره من تفسيري الزمخشري والرازي ، غير أنه ترك إعتزاليات الزمخشري ، وإن كان أحيانا يوافقه في مذهبه كالذى حصل عند موافقته له في إنكار تلبس الجن بالإنس عند تفسير آية البقرة .

■ وكذلك عندما أخذ من الرازي لا يتابعه في الاستطراد في العلوم الكونية

---

(١) انظر : التفسير والمفسرون ٢٧٦ ـ ٢٨٢ .

والكلامية ونحوها... والبيضاوي لم يكتف فقط بالنقل من تفاسير السابقين ، وإنما أعمل عقله ، فَضَمَّن تفسيره نُكَتاً بارعة ولطائف رائقة واستنباطات دقيقة بأسلوب موجز ، وعبارة دقيقة ، وهو يَهْتَمُّ بذكر القراءات أحيانا ، ويعرض للصناعة النحوية ، ولكن بدون توسع كما أنه يتعرض للأحكام الفقهية بدون توسع أيضاً .. والبيضاوي مُقِلٌّ جداً من إيراد الإسرائيليات وإن أوْرَدَ شيئاً منها صَدَّره بما يشير إلى ضعفها ووهنها .

قال صاحب كشف الظنون عنه : (وتفسيره ـ أي البيضاوي ـ عظيم الشأن غَنِيٌّ عن البيان لخَّصَ فيه من الكشاف ما يتعلق بوجوه الإعراب والمعاني والبيان ، ومن التفسير الكبير ما يتعلق بالحكمة والكلام ، ومن تفسير الراغب ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات ، وضم إليه ما ورى زناد فكره .. فأظهر مهارته في العلوم حسب ما يليق بالمقام) [١] .

[٣] مدارك التنزيل وحقائقُ التأويل : لعبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ت ٧٠١هـ :

لخصه من تفسير البيضاوي ومن الكشاف ، وجرى فيه على مذهب أهل السنة ، وقد كتبه بأسلوب سهل وعبارة موجزه ، يتعرض للمسائل النحوية والفقهية وينتصر لمذهبه الحنفي ويرد على من خالفه في كثير من الأحيان ، وهو مقل جداً من إيراد الإسرائيليات ويُظْهِرُ النسفي ورعاً كبيراً حتى إنه قال في مقدمته : (وكنت أُقدّمُ فيه رجلاً و أُؤخر أخرى استقصاراً لقوة البشر عن دَرْك هذا الوطر ، وأخذ السبيل الحذر عن ركوب مَتْنِ الخطر ..) [٢] وفي الجملة الكتاب قَيِّمٌ سهل التناول وقد اعتُمِدَ تدريس بعض أجزاء منه على طلاب المرحلة الثانوية بالمعاهد الأزهرية لفترة طويلة .

---

(١) التفسير والمفسرون ٢٨٢ – ٢٨٨ ، كشف الظنون ١ /١٢٧ وما بعدها

(٢) انظر مقدمة تفسير النسفي ١ /٢٨ ، ط دار النفائس ، الأردن ١٩٩٦م .

[٤] **لُبَابُ التأويل في معاني التنزيل** : لعلي بن محمد بن إبراهيم بن عمر المعروف بالخازن ، اشتهر به لأنه كان خازن كتب خانقاه السيماطية بدمشق . ت ٧٤١هـ.

■ اشتهر في منهج الخازن أنه اعتمد كثيراً على كتاب معالم التنزيل للبغوي، وحرص على إيراد كثير من روايات التفسير المأثور، ولكن أكثرها في الإسرائيليات والقصص الغريبة والمواعظ الرقيقة. .ولكن بدون نقد ولا تمحيص، مما قلل من قيمة الكتاب العلمية ... ولعل نزعته الصوفية هي التي أثرت فيه فجعلته يعني بتلك النواحي ويستطرد فيها حتى تغلب على تفسيره ، ومع ذلك هو يذكر الأحكام الفقهية كثيراً وكادت سمعته الإسرائيلية وشهرته القصيصية تصد الناس عن الرجوع إليه [١] .

[٥] البحر المحيط : لأبي حيان الأندلسي الغرناطي . ت ٧٤٥هـ :

■ يُعْتَبَرُ البحر المحيط المرجع الأول والأهم لمن يريد أن يقف على وُجُوه الإعراب لألفاظ القرآن الكريم ، إذ أن الناحية النحوية هي أبرز سمة في منهج أبي حيان في التفسير ، فقد أكثر من مسائل النحو وتوسع في مسائل الخلاف بين النحويين حتى أصبح الكتاب أقرب إلى كتب النحو منه إلى كتب التفسير ، وهو مع ذلك لم يُهْمِل النواحي الأخرى التي لها اتصال بالتفسير كالبيان والبديع وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراءات. . وغيرها ، وقد استفاد أبو حيان كثيراً من تفسيري الزمخشري وابن عطية خصوصاً في المسائل النحوية ، وإن كان يتعقبها كثيراً بالرد والتصويب وكثيراً ما يحمل حملات ساخرة على الزمحشري من أجل آرائه الاعتزاليه ، ومع ذلك يمدحه في مهارته في تجلية بلاغة القرآن . . كما استفاد أبو حيان وأكْثَر من النقل عن كتاب : (التحرير والتحبير لأقوال

---

(١) التفسير والمفسرون ١ / ٢٩٤ ـ ٣٠٠ .

أئمة التفسير) لشيخه ابن النقيب ، ومع ذلك كان يخالفه في نقوله التي ينقلها عن غلاة الصوفية ولا يرضاها [١] .

[٦] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : لأبي السعود المتوفى ٩٨٢هـ .

■ تعتبر أهم ميزة في كتاب أبي السعود هي : عنايته بالناحية البلاغية للقرآن ، فهو يهتم بأن يكشف عن نواحي القرآن البلاغية ، وسر إعجازه في نظمه وأسلوبه وبخاصة في باب الوصل والفصل ، والإيجاز والإطناب ، والتقديم والتأخير ، والاعتراض والتذييل .. كما يَهْتَمُّ بإبداء المعاني الدقيقة التي تحملها التراكيب القرآنية بين طياتها مما لا يكاد يظهر إلا لمن أوتي حظاً وافراً من المعرفة بدقائق اللغة العربية .

■ كما اهتم أبو السعود بإبراز وجوه المناسبات بين الآيات ، وَأَلَمَّ ببعض القراءات من غير تَوسع ، ويُلاحظ إقْلاله من ذكر المسائل الفقهية ، وكذلك من الإسرائيليات والنواحي الكونية .. وربما يتعرض لذكر الوجوه النحوية أحيانا إذا كانت الآية تحتمل أوجها للإعراب ، ويُرَجِّح واحداً منها ويدلل على رجحانه . وبالجملة فالكتاب دقيق غاية الدقة ، بعيد عن خلط التفسير بما لا يتصل بالتفسير [٢] .

[٧] غرائب القرآن ورغائب الفرقان : لنظام الدين ابن الحسن بن محمد النيسابوري المشهور بالنظام الأعرج .

■ لقد سلك النيسابوري في تفسيره مسلكاً جعله فريداً بين المفسرين ، وذلك أنه يذكر الآية ثم يذكر القراءات الواردة فيها ، مع التزامه إضافة كل قراءة

---

(١) المرجع السابق ١ / ٣٠٠ – ٣٠٤ .

(٢) التفسير والمفسرون ١ / ٣٢٦ – ٣٣٢ .

إلى صاحبها من العشرة ، ثم يذكر الوقوف مع التعليل لكل وقف منها ، ثم يشرع في التفسير مبتدءاً بذكر المناسبة وربط اللاحق بالسابق .. ثم بعد ذلك يبين معاني الآيات بأسلوب بديع يشتمل على إبراز المقدرات وإظهار المضمرات ، وتأويل المتشابهات وتصريح الكنايات ، وتحقيق المجازات والاستعارات ، وتفصيل المذاهب الفقهية ، مع التوجيه .. كذلك لم يكن يُغْفل التعليق على الآيات الكونية ، ولا المسائل الكلامية والرد على الغلاة .. وقد رد على الشيعة استدلالهم بقوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾ [المائدة : ٥٤] ، على ولاية علي رضي الله عنه ، وهذا يدل دلالة واضحة على بطلان التهمة التي وجهت إليه بأنه متشيع [١] .

[٨] تفسير الجلالين / لجلال الدين المحلى ت ٨٦٤ نسبة إلى المحلة من أقاليم مصر، وجلال الدين السيوطى ت ٩١١هـ نسبة إلى أسيوط .

■ وكان قد بدأ المحلى أولاً التفسير من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس ، ثم ابتدأ يفسر في الفاتحة فاخترمته المنية ومات ، فجاء السيوطى من بعده فمكمل التفسير من البقرة إلى آخر الإسراء ووضع الفاتحة من آخر تفسير المحلى لتكون ملحقة به ، ولا يكاد الناظر يرى كبير فرق بين أسلوب المحلي والسيوطى، فإن السيوطى قد تابع المحلى في اختصاره وعدم التوسع ، وفي يسر العبارة وسهولتها ، والبعد عن خلافات النحويين والفقهاء وأصحاب الكلام ، حتى قال بعض علماء اليمن : عددت حروف القرآن وتفسير الجلالين فوجدتهما متساويين إلى سورة المزمل ومن سورة المدثر التفسير زائد على القرآن .. ومع هذا فالتفسير قيم في بابه من أكثر التفاسير تداولاً وانتشاراً .. وقد حشا عليه بعض العلماء الحواشي من أشهرها حاشية الصاوي على الجلالين ، وحاشية الجمل على الجلالين ـ أيضاً ـ [٢] .

---

(١) المرجع السابق ٣٠٤ – ٣١٤ .

(٢) التفسير والمفسرون ١ / ٣١٥-٣١٩ .

وبعد .. فهذه أهم كتب التفسير بالرأي الجائز وهناك سواها كثير يطول المقام بذكرها ، وفي الغالب المناهج متقاربة مع اختلافٍ يسير .

ثانيا: النماذج التي تُمثل المعاصرة في كتب التفسير بالرأي الجائز :

[١] تفسير المراغى / لأحمد مصطفى المراغى ـ أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية بكلية دار العلوم ـ ونسبته إلى مراغة من صعيد مصر .

ألف الشيخ تفسيره لما اقتضته حاجة عصره من تبسيط العبارة ، فهو يقول عن كتب التفسير السابقة إنها ألفت في عصور قد خلت بأساليب تُناسب أهلها .. فرأينا مسيس الحاجة إلى وضع تفسير للكتاب العزيز يُشاكلُ حاجة الناس في عصرنا في أسلوبه .. ومنهجُ الشيخ في تفسيره أنه يورد الآية أو الآيات ثم يقوم بشرح المفردات اللغوية ، ثم يُتْبعُ ذلك بذكر المعنى الإجمالي للآيات ليتجلى للقارئ منها صورة مجملة ، ثم يُعْقِبُ ذلك بذكر ما ورد من أسباب النزول لهذه الآيات إن صح شيء منه ، كذلك ضرب الشيخ صفحاً عن مصطلحات العلوم ، من نحو وصرف وبلاغة وأشباه ذلك مما أدخله المفسرون في تفاسيرهم فكان من العوائق التي حالت بين الناس وبين قراءة كتب التفسير،ومما تميز به تفسير المراغى :

أنه شبه خال تماماً من الإسرائيليات،كما أنه في إيراد القصص القرآني عن أخبار الأمم الغابرة ، يُرَكِّز على استنباط الدروس والعبر ولا يستهويه الاستطراد في القصص والأخبار ، ثم هو يَهْتَمُّ أيضاً بالتعليق على الظواهر الكونية التي جاءت بها الآيات في أسلوب بديع بعيداً عن تعقيد النظريات العلمية ، في ثوب يصل إلى القلب ويدعو إلى الإيمان ، وهذا هو المقصود من لَفْتِ الأنظار بالآيات الكونية أصلا [١] .

---

(١) انظر مقدمة تفسير المراغي ١ / ١٦ – ٢٠ ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ١٣٦٥ .

وبالجملة فالكتاب مفيد جداً وبإمكان جميع الناس على اختلاف مستوياتهم الثقافية أن يتعاملوا معه ويستفيدو منه إذا ما أرادوا ذلك ، وقد تَصَفَّحْتُ الكتاب فوجدت الشيخ قد سار على هذا المنهج الذي أثبته في مقدمة تفسيره ولم يُخِلّ بشئ منه .

[٢] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ـ من علماء القصيم بالسعودية.ت ١٣٧٦هـ

وطريقته فيه أنه يورد الآية ثم يُقَطِّعُها إلى أجزاء يعلق عليها جزءاً جزءاً بأسلوب موجز وعبارة سهلة بليغة وسرعان ما تترابط هذه الأجزاء وتُمْزَجُ سبيكة واحدة لتعطي معنى الآية مُكْتَمِلاً ، وهو برغم عبارته الموجزة يذكر الأحكام الفقهية ويُرَجِّح ويُبْرِزُ في كثير من الأحيان أسرار وحكم التعبير القرآني في الأنواع كأن يقول عبر بكذا ولم يُعَبِّر بكذا لحكمة ... ونحو ذلك .

■ كما أنه لا يدخل في إطالات الإعرابات النحوية إلا في النادر الذي يتوقف عليه المعنى .

■ ويتميز هذا التفسير بترسيخ العقيدة السلفية وخصوصا في آيات الصفات ، وبأسلوبه التربوي الذي يُنَمِّي لدى القارئ القيم الأخلاقية الفاضلة التي حض عليها الإسلام .

■ ولا ننسى أن نقول إن الشيخ ـ رحمه الله ـ طَبَّق تطبيقا عملياً أصول التفسير التي كتبها في كتابه القيم (القواعد الحِسان في تفسير القرآن) وهو يُدَوَّنُ تفسيره هذا .

■ وبالجملة فهذا التفسير من أنفع التفاسير التي تناسب أوساطا كثيرة من أبناء المسلمين اليوم وليس يعني أنه للعامة بل إن المتخصص سيجده ـ أيضاً ـ في مستواه [١] .

---

(١) انظر تفسير السعدي ـ رحمه الله ـ (من صفحات مختلفة منه) ط المكتبة العصرية ـ بيروت .

[٤] التفسير الوسيط للقرآن الكريم : للدكتور : محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف .

■ وهو تفسير رائع ، سلك فيه الشيخ منهجاً طيباً عصر فيه أقوال المفسرين السابقين ، وأحسن سبكها في أسلوب رائق راق ، مع استنباطات دقيقة وحكم خفية ، تناسب حاجة العصر قال وهو يحرر منهجه : ((وستلاحظ خلال قراءتك أنني كثيرا ما أبدأ بشرح الألفاظ القرآنية شرحاً لغوياً مناسباً ثم أبين المراد منها ـ إذا كان الأمر يقتضي ذلك ـ ثم أذكر سبب النزول للآية أو الآيات إذا وجد وكان مقبولاً ، ثم أذكر المعنى الإجمالي للآية أو الجملة عارضاً ما اشتملت عليه من وجوه البلاغة والبيان والعظات والآداب والأحكام . . مدعما ذلك مما يؤيد المعنى من آيات أخرى ومن الأحاديث النبوية ومن أقوال السلف الصالح وقد تجنبت التوسع في وجوه الإعراب واكتفيت بالرأي أو الآراء الراجحة إذا تعددت الأقوال ، . . وذلك لأنني توخيت فيما كتبت إبراز ما اشتمل عليه القرآن الكريم من هدايات جامعة وتوجيهات نافعة ، وأحكام سامية ، وتشريعات جليلة، وآداب فاضلة وعظات بليغة . . .)) [١] .

وقد تتبعت الكتاب فوجدت الشيخ قد سار على المنهج الذي حرره ولم يُخِلّ به إلا في بعض الأحيان ، وبالجملة هو كتاب ماتع يمتاز بسهولة أسلوبه ، وكذلك بالتركيز على الحكم الدقيقة في الألفاظ القرآنية .

■ كما إن الكتاب يمتاز بحاسة التمحيص والتحقيق التي تمتع بها مؤلفه ـ حفظه الله ـ فهو شبه خال من الإسرائيليات ،وإذا وردت آية كان تفسيرها مَحَلُّ نزاع بيَّنَ هذا النزاع بيسر، ثم يُخْرِجُ القارئ من حَيْرَةِ الاختلاف بترجيح الرأي الراجح ، كما يمتاز الكتاب بأسلوب المحاورة الشيقة الذي يدفع الملل عن القارئ ، فكثيراً ما يُفَسِّرُ الآية ،ثم يطرح قائلاً : (فإنْ قال قائل كذا . . .) (قلنا كذا) وغير

(١) انظر التفسير الوسيط ١ / ١٠ ط دار نهضة مصر ـ القاهرة ١٩٩٧ م .

ذلك من اللطائف ، والمَيْزَات والخصائص التي يقف عليها المطالع لهذا التفسير.

[٥] تفسير الشعراوى / للشيخ : محمد متولي الشعراوي من علماء الأزهر الشريف ـ رحمه الله ـ :

وتفسيره هذا نسمة من فتوحات الرحمن على عباده ، سماه الناس تفسيراً وسماه هو خواطر حول القرآن الكريم وقد سلك فيه الشيخ ـ رحمه الله ـ منهجاً استقطب واسترعى كل انتباه ، لبساطة أسلوبه ، الذي يفهمه العامي البسيط ، ويشتاق إليه المثقف صاحب الثقافة العالية، لما يجد فيه من لفتات تَهُزُّ العواطف هزاً تدعوها إلى الإيمان والتفكير ، وهذا التفسير مَقْرُوءٌ ومسموع من الشيخ على نفس المنهج ، يبدأ الشيخ بمعنى إجمالي للآية ، ثم يورد ما يفسرها من آيات القرآن و الحديث والقصص والأخبار ، مع ضرب الأمثلة البسيطة التي تقرب الفهم وتشعر بأن القرآن منهج حياة ملموس أثره في الواقع ، وليس ترانيم تتلي في المعبد ـ كما تميز الكتاب بحرص مؤلفه على إبراز الحِكَم سواءً في التعبيرات التي تشد الانتباه من نحو (لماذا قال : اهبطوا منها جميعًا مع أنه ساعتئذ لم يكن إلا آدم وحواء؟ ، ويجيب فيقول : كأن الحق سبحانه وتعالى أراد أن يلفتنا إلى أن الخلق من ذرية آدم كانوا موجودين في ظهره .. خلقهم جميعًا ثم صَوَّرَهُمْ جميعًا) (وعندما قال في هذه اللحظة وهي لحظة الهبوط إلى الأرض ، سيبدأ منهج الله مهمته في الحياة وما دام هناك منهج وتطبيق فردي تكون المسؤولية فردية ولا يأتي الجمع هنا ...) [١] .

■ ثم هو قليل الإيراد جدا للخلافات الفقهية والنحوية والعقائدية لأنه قصد بالكتاب تحريك المشاعر..ويُلاحظ أن الشيخ قد أتَمَّ هذا التفسير في إلقاءه وعرضه على الجماهير لكن المطبوع إلى الآن غير كامل بل هو إلى سورة الأنبياء .

---

(١) انظر : تفسير الشعراوي ١ / ٢٧٧ – ٢٧٨ . ط أخبار اليوم ـ القاهرة ١٩٩١ .

■ وبالجملة فالكتاب كما قلت نسمة من فتوحات الرحمن على عباده يُشعر القارئ حقاً بتجدد القرآن وأن معينه لا ينضب على مر الزمان .

[٦] التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج .

[٧] التفسير الوجيز .

[٨] التفسير الوسيط ـ ثلاثتهم ـ للعلامة الدكتور / وهبة الزحيلي .

■ تتفق التفاسير الثلاثة في بيان مدلول الآيات بدقةٍ وشمول وأسلوب مُبَسَّط ومُيَسَّر وفي معرفة أسباب النزول الصحيحة والاستشهاد ببعض الآيات والأحاديث في موضوعها وفي البعد عن القصص والروايات الإسرائيلية التي لا يخلوا منها تفسير قديم وفي التزام أصول التفسير بالمأثور والمعقول معًا وبالاعتماد على أمهات كتب التفسير بمختلف مناهجها .

■ وينفرد التفسير المنير ببيان أوسع وأجلى للآيات [١] يُقَدِّم فيه المؤلف تقدمة إجمالية لكل سورة يبين مضامينها وما صح من فضائل السور وعلى المناسبة بين السورة السابقة واللاحقة ، ثم نجد الشيخ يفصل القصص وأحداث السيرة النبوية ويستنبط الأحكام الشرعية بالمعنى الواسع للحكم بحيث يشتمل على العقيدة والعبادة والأخلاق والآداب والعبر والعظات ونظام الحياة والمعاملات وأصول الحياة الإسلامية مع بيان المفردات اللغوية بيانا شافيا .. كل ذلك مع تعقيب ومقارنة وتنويه بالمعجزات والإعجاز العلمي للقرآن الكريم بحسب تقدم العلوم العصرية .

■ وقد ذكر الشيخ أنه توسع في هذا التفسير لأنه كتبه لأهل التخصص ، وإن كان لا يصعب على غير المختص أن يأخذ منه .

■ ويقتصر التفسير الوجيز [٢] على بيان المقصود بكل آية ، بعبارة شاملة

---

(١) المنير جاء في ١٦ مجلد .

(٢) والوجيز جاء في مجلد واحد .

غير مخلة ولا مملة مع بيان الكلمات الغامضة غموضا شديدا ، وبيان أسباب النزول مع كل آية أثناء الشرح .

وهذا التفسير كان المؤلف قد قصد به العامة وأكثرية الناس .

■ وأما التفسير الوسيط [١] فقد كتبه الشيخ لمتوسطي الثقافة ، وقد تتطابق عباراته في بعض المواضع من التفسيرين السابقين ،ويمتاز التفسير ببساطته وعمقه في آن واحد ، وفي الغالب حرص الشيخ فيه على وضع عناوين لكل مجموعه من الآيات ، وهي مهمة جداً وتسهل على القارئ معرفة المحور الرئيسي الذي تدور حوله الآيات [٢] .

جزى الله الشيخ خيراً ، إذ استطاع أن يخاطب كل إنسان بما يناسبه من ألوان التفسير

[٩] في رحاب التفسير : للشيخ / عبد الحميد كِشْك - رحمه الله - من علماء الأزهر الشريف .

■ وهو تفسير ممتاز ظهر فيه طبع مؤلفه وهو الوعظ المؤثر المُدَعَّم بالأبيات الشعرية الهادفة والقصص ، وفي الغالب يُوردُ الآيات ثم يبين معاني المفردات ثم سبب النزول ثم يمضي مع الأنواع جزءاً جزءاً يسبكه بحيث يعطي معنى مكتملاً وهو مع تأثره بالوعظ لم يُغْفِل الجوانب الأخرى فقد تعرض للنواحي الفقهية في آيات الأحكام ببراعة وتفصيل معقول حتى إنه عندما تعرض لآيات المواريث من سورة النساء وضح الآيات وساق مسائل حسابية لعمليات التوريث،ويركز الشيخ على قصص القرآن وبيان سُنن الله تعالى المضطردة في الخلق ، . . ويستطرد في بعض الأحيان في إيراد القصص المؤثر الهادف ، . . . وبالجملة هو تفسير نافع محمود في بابه ، أنْصَحُ به الدعاة والوُعَّاظ حيث تجد فيه مادة وعظيةٍ قَيِّمة

---

(١) الوسيط جاء ٣مجلدات .

(٢) انظر: التفسير الوسيط ١ / ٦ ـ ٧ ط دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ مع دار الفكر ـ دمشق ١٤٢٢هـ.

وعلمية غزيره [١] .

هذا... وهناك كتب أخرى كثيرة في التفسير بالرأي الجائز كُتِبَتْ في العصر الحالي كلها تتجه نحو البساطة واليُسْرِ ، تسهيلاً على أبناء هذا الجيل ، ليفهموا كتاب الله تعالى ، منها :

[١] أيْسَرُ التفاسير لكلام العلى الكبير ـ للشيخ / أبو بكر جابر الجزائري .

[٢] فتح الرحمن فى تفسير القرآن ـ للدكتور / عبد المنعم أحمد تعيلب .

[٣] تفسير البشائر وتنوير البصائر ـ للشيخ / على الشُّرْبَجي .

[٤] تفسير الشامل للقرآن الكريم ـ للدكتور / أمير عبد العزيز النابلسي .

ونسأل الله تعالى أن يُكَثِّر الحريصين على تفسير كتابه للناس ، وأن يرزقنا وإياهم الإخلاص والصدق في القول والعمل . والله المستعان .

نماذج لكتب التفسير بالرأي المذموم :

■ لقد نتج عن الاختلاف والتفرق المذهبي فى أمور العقيدة كَمٌّ هائل من التفسيرات القرآنية ، لكنها ـ أي هذه التفسيرات ـ بُنِيَتْ على أصول اعتقاد ومبادئ كل فرقة من تلك الفرق .

■ ولم تَخْلُ فرقة من تلك الفرق من شطحات في أصول الاعتقاد مما ترتب عليه حدوث الانحراف في تفسير القرآن الكريم ، فكل فرقة تحاول تفسير القرآن بما يؤيد مذهبها ومبادئها .

■ وربما كان من المُرْهِق تتبع هذه التفاسير عند الفِرَق المبتدعة كما سماها الشيخ الذهبي فهي اثنتين وسبعين فرقة كما في حديث افتراق الأمة ، ولكن نكتفي بأن نأخذ فكرة عامة عن موقفهم من تفسير القرآن الكريم .

■ **فالمعتزلة مثلاً** : ينكرون جواز تكليم الله لرسله تكليمًا مباشرًا فإذا وُجِدَ

---

(١) انظر : فى رحاب التفسير ١ / ٨٢٦ ـ ٨٢٧ ، ط المكتب المصري الحديث ـ القاهره .

في اللفظ القرآني ما يُثْبِتُه تصرفوا فيه أو قرأوه بقراءة بعيدة من أجل تقرير عقيدتهم فعند تفسيرهم لقوله تعالى : ﴿ **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا** ﴾ [النساء : ١٦٤] يقرؤنها بنصب لفظ الجلالة على أنه مفعول ، ورفع موسى على أنه فاعل ، وحملها بعضهم على أنها من الكلم بمعنى الجرح فيكون المعنى وجرح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن . كل هذا لِيَفِرَّ المعتزلى من ظاهر النص القرآني الذي يصادم عقيدته .

■ وعندما فسروا قول الله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ** ﴾ [البقرة : ٢٧٥] فسروا المس بالجنون لأنهم في مبادئهم ينكرون تلبس الجني بالإنسي ،ويقولون إنه لا تسلط لها على الإنسان إلا بالوسوسة والإغواء كما في قصة أيوب ﴿ **أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١)** ﴾ [ص : ٤١] وبيَّن قدرات الشيطان بقوله تعالى في الحكاية عنه ﴿ **وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي** ﴾ [إبراهيم : ٢٣] .

■ وعندما يفسرون قوله تعالى : ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ [القيامة :٢٢ – ٢٣] يتأولونها فيقولون في الكلام محذوف تقديره إلى ثواب ربها ناظرة ، لأنهم يقولون لا يجوز ولا يصح النظر إلا إلى الأجسام فالقائل بجواز رؤية الله قائل بجسميته، وإذا جاز أن يرى جاز أن يصافح ويعانق ويلمس تعالى الله عن ذلك .

يقولون هذا ولا يبالون بالأحاديث الصحيحة التي صرحت بجواز الرؤية في الآخرة ! .

■ وعندما يفسرون قوله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ(٩٦)** ﴾ [الصافات : ٩٦] ، ونحوها من الآيات التي تفيد أن الله هو الخالق لأفعال العباد يقولون : ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦)** ﴾ من الأصنام ، فالأصنام من خلق الله وإنما عملهم

نَحْتُها وتسويتها ذلك لأن المعتزلة يقولون بأن العبد يخلق أفعال نفسه .

■ وعندما يفسرون قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأنفال : ٢-٣] ، ونحوها من الآيات يقولون : كل ذلك يدل على أن الإيمان قول وعمل ويدخل فيه هذه الطاعات ولا يكون المؤمن مؤمناً إلا إذا قام بحق العبادات ومتى وقعت منه كبيرة خرج عن أن يكون مؤمنا ، ولكن أيضاً لا يكون كافرا بل في منزلة بين المنزلتين أي فاسق[١] .

ويمكن أن تُراجعُ هذه الأقوال المنحرفة في تفاسير المعتزلة ، ومنها :

[١] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ــ لمحمود بن عمر بن محمد الخوارزمي المعتزلي المتوفي (٥٣٨ هـ) .

[٢] تنزيه القرآن عن المطاعن ــ للقاضي : عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن الخليل الهمداني شيخ المعتزلة المتوفي (٤١٥ هـ) .

[٣] غُرَرُ الفوائد ودُرر القلائد أو (أمالى الشريف المرتضي) . لأبي القاسم على بن الطاهر بن أحمد بن الحسين .. ينتهي في نسبة إلى علي بن أبي طالب .. المتوفي (٤٣٦هـ) .

والشيعة : أيضاً يفسرون القرآن ويزعمون أن له ظاهراً وباطناً ، ويخدمون بتفاسيرهم مبادءهم ومعتقداتهم .

■ فهم يرون أن الأئمة أركان الأرض أن تَميدَ بأهلها وحجة الله على من فوق الأرض ومن تحت الثرى ، وهُمْ فوق أن يُحْكَمَ عليهم لأن لهم صلة روحية بالله تعالى .

وفي سبيل إثبات عقيدة الإمامة يفسرون كل الآيات الواردة في الأمر بطاعة

---

(١) ملخصاً من التفسير والمفسرون ١ / ٣٥١ – ٤٤٥ .

النبي ﷺ ، مثل : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ .
[الحشر : ٧] .

فيقولون: الله فوض دينه إلى نبيه والنبي فوض ذلك كله إلى علي وأولاده فسلمنا به وجحد الناس ، والأئمة بيننا وبين الله وما جعل الله لأحد خيرا في خلاف أمرهم .

■ ويفسرون قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] هم على وفاطمة والحسن و الحسين ، ليصلوا من وراء ذلك إلى تقرير عصمة الأئمة كالأنبياء .

■ وعندما يفسرون قوله تعالى : ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ [آل عمران : ٢٨] (يقولون) : في هذه الآيات دليل على جواز التقية عند الخوف على النفس وفي كل الأحوال وربما تكون واجبة في بعضها .

■ وعندما يفسرون قوله تعالى : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ [النساء : ٢٤] يقولون : المراد بالاستمتاع هنا نكاح المتعة وهو النكاح المنعقد بمهر معين إلى أجل معلوم أي فمتى عقدتم عليهن ذلك العقد المسمى متعة فآتوهن أجورهن ويدل على ذلك أن الله عَلَقَ وجوب إعطاء المَهْر على الاستمتاع وذلك يقتضي أن يكون ذلك العقد المخصوص .

■ وعندما يفسرون قوله تعالى :﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة : ٥٦] ونحوها يقولون : (..وفيه حجة على صحة البعث والرجعة)

لأنهم يؤمنون بعقيدة الرجعة أي رجعة علي في آخر الزمان قبل القيامة .

■ وعندما يفسرون قوله تعالى : ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ [التوبة : ٤٠] ونحوها من الآيات التي فيها مدح الصحابة الكرام والثناء عليهم يحرصون على سبهم وتكفيرهم أو على الأقل تجريدهم من كل فضل نسب إليهم في القرآن وفي الآية السابقة قال مفسرهم عبد الله العلوي : ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ ﴾ : أي معه واحد لا غير ، إذ يقول لصاحبه : لا مدح فيه إذ قد يصحب المؤمن الكافر ، كما قال : ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾ [الكهف : ٣٧] وقالوا في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ [الليل : ١٧-١٨] ، ومعلوم أنها نزلت في أبى بكر الصديق قالوا : وإن كانت الآيات نزلت في رجل خاصّ ، فالمعنى عام والأصل فيمن أعطى واتقى عَليّ ، وفيمن بخل واستغنى هو الثاني (أي أبا بكر) .

ويُمكن أن تُراجع هذه الأقوال التي تَفُوحُ بروح التعصب المذهبي البغيض في تفاسير الشيعة ومنها :

[١] مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار ـ للمولى عبد اللطيف الكازراني الشيعي .

[٢] تفسير الحسن العسكري .

[٣] مجمع البيان لعلوم القرآن ـ للفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٨٣٥ هـ) .

[٤] الصافي في تفسير القرآن ـ للمُلا محسن الكاشي أحد الغلاة المتعصبين كما قال عنه الشيخ الذهبي

[٥] بيان السعادة في مقامات العبادة ـ لسلطان محمد الخراساني ـ أحد متطرفي الإمامية الإثنى عشرية في القرن الرابع عشر الهجري ـ كما قال الشيخ الذهبي .

والخوارج : أيضاً عند تفسيرهم للقرآن يشتطون ويؤلون بحسب ما يؤيد مبادئهم ومن أهم مبادئهم : القول بكفر مرتكب الكبيرة وسأنقل لك بعض

المواضع لترى :

■ في قوله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [آل عمران : ٩٧] ، قالوا : جعل تارك الحج كافراً .

■ وفي قوله تعالى : ﴿ **وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢)** ﴾ [عبس : ٤٠ – ٤١] ، قالوا : والفاسق على وجهه غبرة فوجب أن يكون من الكفرة الفجرة .

■ وفي قوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ** ﴾ [التغابن : ٢] ، قالوا : وهذا يقتضي أن من لا يكون مؤمناً فهو كافر ، والفاسق ليس بمؤمن فوجب أن يكون كافرا .

■ ومن الخوارج من أداه تمسكه بظاهر النصوص إلى أن قال : لو أن رجلا أكل من مال يتيم فلَسَيْن وجبت له النار لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠)** ﴾ [النساء : ١٠]، ولو قتل اليتيم أو بقرت بطنه لم تجب له النار لأن الله لم ينص على ذلك .

وها هو أحد مفسريهم يُحِلُّ نكاح بنات الأولاد وبنات أولاد الإخوة والأخوات ويستدل على ذلك بظاهر آية المحرمات من النساء .

■ كما إنهم كانوا يَرَوْنَ جواز قتل مخالفيهم من المسلمين واستحلال أموالهم ونسائهم في حين أنهم لا يرون ذلك في المشركين لأن المشرك نصت آية صريحة على جواره ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ** ﴾ [التوبة :٦] .

وقصة واصل بن عطاء المعتزلي لما خرج مع نفر من أصحابه ووقعوا في يد الخوارج وتظاهروا بأنهم مشركين فأكرموهم وأحسنوا إليهم مشهورة .

■ ويمكن أن تُراجع أقوالهم هذه في تفاسيرهم وهي للعلم قليلة منها :

■ هِيْمَانُ الزاد إلى دار المعاد ـ لمحمد بن يوسف أطفيش(ت ١٣٣٢ هـ) بالجزائر.

وقد بادت معظم تفاسير الخوارج ولم يبق منها إلا القليل كهذا التفسير وربما يرجع هذا إلى أن معظم فرقهم بادت ولم يبق لها أثر إلا الإباضية التي تنتشر في بلاد المغرب وحضرموت وعمان .

الصوفية : أيضاً من غلا منهم كان له شطحات عقلية مذمومة في تفسير القرآن الكريم لا تتناسب مع السياق ولا مدلول الألفاظ ولا أي شئ ويسمون هذا باطن القرآن الذي لا يعرفه غيرهم ، وإليك طرفاً من أقوالهم :

قال ابن عطاء الله السكندري في قوله تعالى ﴿ **وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ** (٣٣) ﴾ [يس : ٣٣] قال : القلوب الميتة بالغفلة أحييناها بالتيقظ والاعتبار والموعظة وأخرجنا منها حباً : معرفة صافية تضئ أنوارها على الظاهر والباطن [١] .

وقال أبوعبدالرحمن السُّلَمي في قوله تعالى ﴿ الٓمٓ ﴾ فاتحة البقرة : الألف ألف الوحدانية واللام لام اللطف والميم ميم الملك ، ومعناه من وجدني على الحقيقة بإسقاط العلائق والأغراض تلطفت له فأخرجته من رِقِّ العبودية إلى الملأ الأعلى وهو الاتصال بمالك الملك دون الإشتغال بشئ من الملك [٢] .

وقال سهل التستري في قوله تعالى : ﴿ **وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ** ﴾ [النساء : ٣٦] ، الجار ذي القربى هو القلب ، والجار الجنب هو الطبيعة ، والصاحب بالجنب هو العقل المهتدي بالشريعة وابن السبيل هو الجوارح المطيعة [٣] .

---

(١) حقائق التفسير للسلمي ص ٢٨٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٩ .

(٣) تفسير القرآن العظيم للسلمي ص ٢٨٤ .

وقال بعضهم في تفسير آية الكرسي : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] معناه (من ذل) من الذل ، (ذي) إشارة إلى النفس (يشف) من الشفاء ، (ع) أمر من الوعي [١] .

وقال بعضهم أيضاً في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] فسر ﴿ لَمَعَ ﴾ فجعلها فعلا ماضيًا من اللمعان بمعنى أضاء والمحسنين مفعوله .

■ وقال السلمي عند قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ [الرعد : ٣] .

قال بعضهم : هو الذي بسط الأرض وجعل فيها أوتاداً من أوليائه وسادة من عبيده فإليهم الملجأ وبهم النجاة فمن ضرب في الأرض يقصدهم فاز ونجا ومن كان بغيته لغيرهم خاب وخسر [٢] .

ويدعون أن جعفر الصادق قال في قوله تعالى : ﴿ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ (١١) ﴾ [الرحمن : ١١] جعل الحق تعالى في قلوب أوليائه رياضَ أنسه فغرس فيها أشجار المعرفة ، أصولها ثابتة في أسرارهم وفروعها قائمة بالحضرة في المشهد فهم يجنون ثمار الأنس في كل أوان [٣] .

■ وقال أبو محمد الشيرازي في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ ﴾ [التوبة : ٩١] وصف الله زُمْرة من أهل المراقبات ومجالس المحاضرات والهائمين في المشاهدات والمستغرقين في بحار الأزليات الذين أنحلوا جسومهم بالمجاهدات وأمرضوا نفوسهم بالرياضات وأذابوا قلوبهم بدوام الذكر وجولانها في الفكر وخرجوا بعقائدهم الصافية عن الدنيا الفانية بمشاهدته الباقية ، بأن رفع عنهم بفضله

---

(١) انظر التفسير والمفسرون ٢ / ٣٦٣ .

(٢) حقائق التفسير ص ١٣٨ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٤٤ .

حرج الامتحان وأبقاهم في مجالس الأنس ورياض الإيقان وقال ليس على الضعفاء (١) .

■ وقال ـ أيضاً ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨١) ﴾ [النحل : ٧١] .. يعني ظلال أوليائه ليستظل بها المريدون من شدة حر الهجران ويأوون إليها من قهر الطغيان وشياطين الإنس والجان ، .. ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ﴾ أكنان الجبال : قلوب أكابر أهل المعرفة وظلال أهل السعادة من أهل المحبة ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ﴾ .. سرابيل روح الأنس لئلا يحترقوا بنيران القدس ﴿ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾ سرابيل المعرفة وأسلحة المحبة لتدفعوا بها محاربة النفوس والشياطين .

■ وقال ـ أيضاً ـ في قوله تعالى : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١) ﴾ [النمل : ٢٠-٢١] .

إن طير الحقيقة لسليمان طير قلبه ، تفقده ساعة وكان قلبه غائبا في غيب الحق مشغولاً بالمذكور عن الذكر، فتفقده وما وجده فتعجب من شأنه .. أين قلبه إن لم يكن معه ؟ فظن أنه غائب عن الحق وكان في الحق غائبا ، وهذا شأن غيبة أهل الحضور من العارفين ساعات لا يعرفون أين هم وهذا من كمال استغراقهم في الله .. ﴿ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ بالصبر على دوام المراقبة والرعاية ، وألقيته في بحر النكرة من المعرفة ليفني ثم يفني عن الفناء ﴿ أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ ﴾ بسيف المحبة أو بسيف العشق ﴿ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ (أو ليأتين من الغيب

(١) عرائس البيان في حقائق القرآن للشيرازي ١ / ٣٣٩ .

بسواطع أنوار أسرار الأزل [١] .

وقال شيخهم وقدوتهم محي الدين بن عربي في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) ﴾ [البقرة : ١٢٦] ، وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا الصدر الذي هو حرم القلب بلدا آمنا من استيلاء صفات النفس واغتيال العدو اللعين وتخطف جن القوي البدنية أهله وارزق أهله من ثمرات معارف الروح و حكمه أو أنواره ... [٢] .

وقال ـ أيضاً ـ عند قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ (٥٧) ﴾ [الواقعة : ٥٧] نحن خلقناكم بوجودنا وظهورنا في صوركم [٣] .

وقال في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] وهو معكم أينما كنتم بوجودكم به وظهوره في مظاهركم .

وقال في قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً (٨) رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ [المزمل : ٨ – ٩] واذكر اسم ربك الذي هو أنت أي اعرف نفسك وأذكرها ولا تنسها فينسك الله واجتهد لتحصيل كمالها بعد معرفة حقيقتها ﴿ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ أي الذي ظهر عليك نوره فطلع من أفق وجودك بإيجادك والمغرب الذي اختفى بوجودك وغرب نوره فيك واحتجب بك [٤] .

وقال في قوله تعالى : ﴿ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا (٢٥) ﴾ [نوح : ٢٥] مما خطيئتهم أغرقوا.. فهي التي خطت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله وهو الحيرة ، فأدخلوا نارًا في عين الماء .. فلم يجدوا

---

(١) عرائس البيان ٢ / ٨١٣ .

(٢) انظر : تفسير ابن عربي ١ / ٥٧ .

(٣) السابق ٢ / ٢٩١ .

(٤) تفسير ابن عربي ٢ / ٣٥٢ .

لهم من دون الله أنصاراً أي فكان الله عين أنصارهم فهلكوا فيه إلى الإبد [١].

ويمكن أن تراجع هذه الأقوال المنحرفة في تفاسير الصوفية ومنها :

[١] تفسير القرآن العظيم ـ لسهل بن عبد الله التستري ـ المتوفي (٢٧٣ هـ).

[٢] حقائق التفسير ـ لأبي عبد الرحمن السلمي ـ المتوفي (٤١٢هـ).

[٣] عرائس البيان في حقائق القرآن ـ لأبي محمد روزبهان أبي نصر الشيرازي المتوف٦٦٦هـ .

[٤] تفسير ابن عربي ـ لمحي الدين بن عربي ـ المتوفى (٦٣٨ هـ)... وغيرها كثير .

هذا ولابد من بيان أن بعض هذه الأقوال المنحرفة في التفسير تسرب إلى كتب التفسير بالرأي المقبول مما يتطلب استحضار حاسة التحقيق والتمحيص وعرض الأقوال على الأصول فإن وافقتها كانت مقبولة وإلا فلا .

ونكتفي بهذا القدر من اتجهاهات التفسير ـ علما بأن هناك اتجاهين آخرين للتفسير ـ هما الإتجاه الفقهي والاتجاه العلمي ولعل الله أن ييسير دراسة اتجاهات التفسير في بحث مستقل إن شاء الله تعالى .

---

(١) فصوص الحكم ١ / ٢١٩ .